العلاقات الثقافية بين المراكز العلمية الأندلسية ومدينة فاس من القرن السادس الهجري حتى سقوط غرناطة

(٥٠١-٨٩٧هـ/١١٠٨-١٤٩٢م)

إيمان بن دخيل الله العصيمى

محاضر بكلية الشريعة – جامعة أم القرى

– قسم التاريخ والحضارة تخصص حضارة إسلامية

ملخص البحث

شهد التاريخ الإسلامي للأندلس تطورات واضحة في النواحي العلمية مما كان له الأثر على الدول المجاورة لها في المغرب و بالأخص مدينة فاس فظهرت بينهما علاقات علمية متمثلة في الرحلة لطلب العلم و العلاقات بين المراكز العلمية وتبادل الكتب والاستقرار لعلماء الأندلس فيها نظرا للظروف السياسية التي مرت بها الأندلس .

والهدف دراسة العلاقات بين المراكز العلمية و تبادل الكتب في الأندلس و فاس فى تلك الفترة من خلال دراسة تشجيع دول المغرب للعلماء وبناء المساجد و المدارس التي يمكن أن نعتبرهما من أهم المراكز العلمية التي كانت موجودة في فترة البحث، وقد امتلأت الأندلس وفاس بهذه المراكز العلمية، وفتحت أبوابها للطلبة، وقام بالخطابة والتدريس بها جمع من العلماء، وكان ثمة تعاون بين علماء الأندلس وفاس في بث العلوم الشرعية طيلة فترة الدراسة. الأمر الذي كان له أعظم الأثر في ازدهار النهضة العلمية.

مقدمة:

شهدت العلاقات الثقافية بين العدوتين الأندلسية والمغربية عبر تاريخ الدولة الإسلامية ببلاد الأندلس وحتى سقوطها ازدهارًا كبيرًا نظرًا للتقارب الشديد بين العدوتين جغرافيًا وفكريًا عبر العصور المختلفة .

وكان هذا الازدهار يتمثل بصورة واضحة فى العلاقات القائمة بين المراكز العلمية بين العدوتين ، فبلاد الأندلس كانت قد شهدت وجود مراكز علمية أشبه ما تكون بالجامعات العالمية حاليًا، كان يتردد عليها طلاب العلم من كل حدب وصوب، فقرطبة ، وإشبيلية , وغرناطة وبلنسية ومالقة والمرية ، وشاطبة وغيرها مدن أندلسية شهدت عبر تاريخها الإسلامى على بزوغ الحضارة الإسلامية، التى أنارت البلاد الأوربية فى وقت كان الظلام الثقافى يخيم عليها بشكل قد جعلها فى كثير من تاريخها تنظر إلى المراكز العلمية فى بلاد الأندلس نظرة تعجب لما وصل إليه المسلمون من حضارة فى شتى المجالات والعلوم ، فى الوقت الذى كانت هى تعانى من التخلف والجمود.

ومما أثرى المراكز العلمية فى بلاد الأندلس تلك العلاقات مع غيرها من المراكز الإسلامية فى بلاد المغرب الإسلامى، ومن أهم تلك المراكز كانت مدينة فاس موضوع هذا البحث، فهذه المدينة كانت قد تقدمت علميًا بسرعة فائقة، وكانت قبلة الكثير من العلماء وطلاب العلم المغربة والأندلسيين، يشهد بذلك عدد العلماء الأندلسيين الذين استقروا بها عبر تاريخها، فكانت إحدى أهم المدن المغربية الجاذبة لهم عبر تاريخها.

وهذا البحث يتناول العلاقات الثقافية بين المراكز الأندلسية ومدينة فاس إحدى المنارات العلمية ببلاد المغرب الإسلامى بصفة عامة ، والمغرب الأقصى

بصفة خاصة ، فى فترة من أهم فترات تاريخ المسلمين فى بلاد الأندلس وأعظمها وهى التى تبدأ من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، وتنتهى بسقوط مملكة غرناطة نهاية القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى.

أولاً: الأهمية الثقافية لمدينة فاس :

استقطبت مدينة فاس جميع علماء المسلمين ولم تقتصر على علماء الأندلس فقط، كما كان لجامع القرويين في فاس أهمية علمية في بلاد المغرب طوال العصور الإسلامية، ومازال يحتفظ بها إلى الآن ، وكيف أنه الوحيد الذي أطلق عليه (جامعة) فعرف بجامعة القرويين دون جامع الأزهر وجامع بغداد، إضافة إلى بعض المدارس التي أسسها الأندلسيون في مدينة فاس وأصبحت مَعلماً من معالم النهضة العلمية إلى الآن. فقد بلغت مكانة سامية تُمكنها من نشر الثقافة العلمية[١] يُستدل بذلك من وصف المؤرخين لها بأنها حاضرة المغرب[٢] وكذلك ما ذكره المراكشي بأنه اجتمع في المدينة علم القيروان وعلم قرطبة، واحتضنت العديد من العلماء فهي اليوم في غاية الحضارة، وكان شيوخ المغرب يدعونها بغداد المغرب[٣] ؛ ولهذا كان السبب من قصد الناس إليها من جميع أقطار البلاد بعد أن تناوبت فاس مع عواصم المشرق الإسلامي في حمل راية الحضارة الإسلامية في العالم أيام كان الجهل مخيماً على أوروبا فكانت بذلك مركزاً للإشعاع الفكري الروحي حتى أن أهل مراكش العاصمة لدولتي المرابطين

(١) د. جمال طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين،ص٣٠٥.
(٢) الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق : محمد حاج الصادق، مجلة الدراسات الشرقية، (دمشق، المعهد الفرنسي، د ت)،ص١١٤.
(٣)المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، (مطبعة الاستقامه ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م) ، ص٣٥٨.

والموحدين نصحوا بعض الناس بالتوجه إلى مدينة فاس إذا أرادوا أن يتفرغوا لعلوم الدين[١] .

وأهم المراكز العلمية بفاس: يعتبر جامع القرويين الذي أسسته السيدة فاطمة بنت محمد الفهري سنة (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) [٢]، وأصبح جامع القرويين بعد ذلك جامعة علمية تشد الرحلة إليه، ولم يخصص للعبادة فقط؛ بل كان دار علم يلتقي فيها طلبة العلم، ولم يكن قاصراً على العلوم الدينية من الحديث والتفسير والفقه، إنما كان يدرس فيه العلوم العقلية كالرياضيات والفلك والطب[٣]. فأصبح على مر العصور مركزاً للإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي[٤].

(١) ابن الزيات التادلي): التشوف لمعرفة رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، (مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م)، ص٣١٧؛ ابن القنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، نشره: محمد الفاسي، أودلف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبوعة أكوان، الرباط، ١٩٦٥م، ص١٢.

(٢) فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري: (أم البنين) من نساء مهاجري القيروان الذين استقروا في عدة القرويين بفاس، كان والدها ذا ثراء طائل، ولم يمكن لديه إلا ابنتان هما: فاطمة، ومريم، يرجع لها الفضل في بناء جامع القرويين، حيث وهبت كل ما ورثته من أموال في بناء المسجد الذي ابتدأ بنائه سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م). انظر:ابن أبي زرع: الأنيس المُطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، (دار المنصور للطباعة، الرباط،١٩٧٢م) ج١، ص٧٦؛ السلاوي الناصري الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق:جعفر الناصري و محمد الناصري،(الدار البيضاء، ١٩٥٤م) ، ج١، ص١٧٥.

(٣) ليفي بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة:عبد الهادي شعيره، (المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١م)، ص٧٩.

(٤) الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، (دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ص٢٥٦.

وقد عرف العهد المرابطي والموحدي نزوح كثير من العلماء وطلبة العلم من الأندلس إلى مدينة بعد أن ذاع أمر القرويين بها، واشتهرت فاس كعاصمة علمية تُشد إليها الرحلة لطلب العلم من داخل المغرب وخارجه[١]، ويمكن القول بأن جامعة القرويين قد انتقلت ابتداء من العصر المرابطي من مرحلة الجامع إلى مرحلة البداية الجامعية؛ لأن المرحلة الجامعية المكتملة لم تتضح بصورة كاملة إلا بعد العصر المريني، وذلك عندما عُزِّز جامع القرويين بمجموعة من المدارس والكراسي العلمية والخزانات[٢] .

وقد بقي جامع القرويين الجامع والجامعة العلمية لمدينة فاس، وتعتبر جامعة القرويين في العصر الحديث أقدم جامعة ثقافية في العالم، أشاد بذلك بروفنسال بقوله: (أن بفضل ملوك بني مرين لم تكن عاصمة فاس في القرن الرابع عشر لتحسد العواصم الإسلامية الأخرى) [٣] .

ونستطيع أن نوجز أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار النهضة العلمية في فاس والتي جعلتها من أهم المراكز العلمية في المغرب الأقصى على مدى العصور الإسلامية:

- استقرار المهاجرين من أهل العلم والأدب من القيروانيين والأندلسيين في المدينة، الذين ساهموا بدورهم في نهضة العلوم فيها.

---

(١) عبد الله العمراني: فاس وجامعتها، مجلة البحث العلمي، (الرباط، العدد ١١، ١٢، ١٩٦٧م)، ص١٥٩.

(٢) عبد العزيز بنعبد الله: الأندلس والمغرب وحدة أم تكامل؟، التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، (الرباط، العدد الثاني، ربيع ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ص٧٤.

(٣) ليفي بروفنسال، أدب الأندلس وتاريخها، ص٣.

- دور حكام المرابطين والموحدين ومن بعدهم بني مرين في نشر الأمن في بلادهم، ومنها مدينة فاس.

- تشجيع المرابطين والموحدين لشعراء الأندلس الذي كانوا في عاصمتهم مراكش.

- ازدهار النهضة العلمية في فاس باعتبارها عاصمة بني مرين، الذين اشتهروا بحبهم للعلم والعلماء ومجالستهم، بحيث لم يضعوا على العلماء المهاجرين إلى فاس سواء من المغرب أو الأندلس أي عوائق تعوق إقامتهم في ربوع الدولة المرينية، والتمتع بكل المميزات التي يتمتع بها أقرانهم من العلماء المرينيين[١]

- تشجيع سلاطين بني مرين لحركة التأليف، بتقديم الهبات والعطايا للعلماء على مؤلفاتهم، تشجيعاً لهم على مواصلة العمل، حيث كان العلماء يعرضون عليهم إنتاجهم العلمي والأدبي[٢] .

- بلوغ ثلة من العلماء الأندلسيين والمغاربة إلى مجالس بني مرين العلمية وشغل بعض مناصب كبرى في الدولة المرينية، كابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٣٣٣م)، وابن الخطيب (ت٧٧٦هـ) وابن رضوان المالقي (٧٨٣هـ)، وابن جزي (ت٧٥٧هـ/١٣٤٧م)، والمقري ت(٨٥٧هـ/ ١٣٥٧م) وغيرهم من العلماء الذي استقروا في مدينة فاس عاصمة بني مرين[٣] .

---

(١) محمد الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس فى العصر المريني ٦١٠هـ – ٨٦٩ هـ /١٢١٣م – ١٤٦٥م، (دار القلم، الكويت،الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) ، ص٣٣٧.

(٢) محمد الحريري، المرجع نفسه، ص٣٣٩.

(٣) عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي،(الطبعة الثانية ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م) ج١، ص١٥٨.

وللأسباب السابقة التي ذكرناها وغيرها استقطبت مدينة فاس عدداً من العلماء الأندلسيين الذين ساهموا بدورهم في تنشيط الحركة الفكرية، وإثراء المدينة بمختلف أنواع الثقافة الأندلسية، وعملوا على إنشاء المؤسسات العلمية التي ساعدت بدورها على تقدم النهضة العلمية في المدينة، التي أصبحت فيما بعد من أهم المدن المغربية في كافة العصور الإسلامية، ولازالت مدينة فاس تحتفظ بدورها العلمي إلى الآن.

وقد ساهم الأندلسيون في بناء المساجد والمدارس بفاس، ومن أهم تلك المساجد والمدارس التي بناها الأندلسيون في مدينة فاس وساهمت في نشر العلوم:

- **مسجد ابن حنين،** وكان يقرئ به أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكتاني القرطبي المعروف **بابن حنين**[١] .
- **جامع الأندلسيين** الذي غدا منارة علمية في فاس إلى جانب جامع القرويين[٢].
- **مدرسة الصفارين الحلفاويين:** وتعرف باسم (المدرسة اليعقوبية) نسبة لمؤسسها أبي يوسف يعقوب، وبـ(مدرسة الصفارين)، وهي أولى المدارس التي أمر ببنائها بنو مرين وذكر ابن مرزوق أن إنشاء المدارس لم يكن معروفاً في

(١) وقد قرأ بالروايات على أبي الحسن العبسي صاحب أبي العباس بن نفيس، فكان خاتمة أصحاب العبسي، الذهبي :سير أعلام النبلاء، تحقيق:شعيب الأرناؤوط، (مؤسسة الرسالة،بيروت،الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ) ج٢١، ص٥٦.

(٢) الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس، نشره:ألفرد بل، (مطبعة جوردان، الجزائر، ١٩٢٢م)، ص١٢٣؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٧٦، ٧٧.

المغرب إلى حين بناء مدرسة الحلفائيين بفاس، وذلك سنة (٦٧٠هـ/ ١٢٧١م)[١] .

ثم تبع ذلك إنشاء مدارس أخر من أجل إيواء طلاب العلوم، وتوفير شروط الراحة، والتفرغ لطلب العلم، وتابع الملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب هذه المسيرة العمرانية والعلمية، بتوسيع ما ورثوه من منجزات الملوك السابقين، فكثرت المدارس فيها في العصر المريني.

ومن أشهر تلك المدارس: مدرسة العطارين، أسست عام (٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، وسميت بالعطارين لمقابلتها سوق العطارين في فاس، أسسها السلطان أبو سعيد المريني، واستغرق بناؤها سنتين وسموها بأعجوبة فاس لاحتوائها بالنقوش الزخرفية المغربية[٢] .

-المدرسة **المصباحية**، أسست عام (٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، وسميت بالمصباحية نسبة إلى أستاذها أبي الضياء مصباح بن عبد الله اليالصوتي؛ لأنه أول من تصدى للتدريس فيها[٣].

- المدرسة **العنانية**، أسست عام (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)، وتسمى بـ(المدرسة المتوكلية)، وهي المدرسة الوحيدة التي بناها السلطان أبو عنان، وهي الأقرب إلى

---

(١) الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، (مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة،١٣٧١هـ) ،ص٢٢٠؛ عبد الهادي التازي: جامع القرويين، (دار الكتاب اللبناني،بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م)، ج٢، ص٣٥٧..

(٢) عبد الهادي التازي: المرجع نفسه، ج٣، ص٣٥٨.

(٣) الكتاني: سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس في ذكر من أُقبر من العلماء و الصلحاء بفاس،(دار الثقافة،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ج٢، ص٥٦.

فاس الجديدة من أية مدرسة أخرى. وتعد من أشهر مدارس فاس والمغرب فبالإضافة إلى دورها كمؤسسة لتعليم وإقامة الطلبة، كانت تقام فيها صلاة الجمعة، وكانت تحوي على صومعة جميلة البناء والزخرفة إضافة إلى ساعة مائية دقيقة الصنع[١] .

وهذه المدارس بنيت في الغالب على نمط واحد لتؤدي الوظيفة التي أنشئت من أجلها، وهي إيواء الطلبة، وتوفير فضاء للدراسة والتعلم، فهي تتكون في الغالب على صحن، يشغل وسطه صهريج أو نافورة، وتقوم في جوانبه الثلاثة سلسلة من الغرف، وفي الجانب الرابع مسجد، كما في مدرسة العطارين، أو حجرة للصلاة، وقد تضاف طوابق عليا للسكن أيضاً، كما في المصباحية، أو يلحق بالمدرسة كتاب لتعليم الصبيان، وقد تحتوي بعض المدارس على منارة للآذان، كما كان الشأن في مدارس الصفارين، وفاس الجديد، والبوعنانية، وقد اعتمد في بناء هذه المنشآت المعمارية على مواد متنوعة منها الحجر، والرخام والجبص، والخشب، وفي التزيين على الأشكال الهندسية والبناتية والكتابات الزخرفية[٢] .

كما كانت محل سكن العلماء والمشايخ، قرب جامع القرويين في الأحياء القريبة[٣].

ولعل من أبرز العلاقات العلمية بين الأندلس وفارس هو قيام العديد من الأندلسيين بالتدريس في مساجد فاس ومدارسها، ومن أبرز مظاهر ذلك: الكراسي العلمية التي كانت منتشرة في جامع القرويين، والمدارس الفاسية، ويدرس بها الأندلسيون، **ومن هذه الكراسي العلمية:**

---

(١) عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج٢، ص٣٦٣- ٣٦٤ هامش رقم (٢٧).

(٢) نعمية الحضري: المدارس المرينية بفاس-دراسة تاريخية و معمارية-، مجلة التاريخ العربي، (الرباط، العدد٣٨، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦)، ص٣٧٧.

(٣) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس- عصر المرابطين و الموحدين- (مكتبة الخاجي، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م)، ص٤٤٥.

- **كرسي مسجد الأندلس،** وقد درس به خير الله بن القاسم الأندلسي من فقهاء القرن (ق٤هـ/ ق١١م) [١] .
- **كرسي ظهر الصومعة بجامع القرويين،** وقد درس به الشيخ ابن الجامع الأنصاري الجياني، (ت ٤٥٦هـ/ ١١٥١م) [٢] .
- **كرسي مدرسة العطارين،** وقد درسب به الشيخ محمد بن أحمد القشتالي (ت٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م) [٣] .
- **مسجد الحوراء،** وتصدر للإقراء به محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي، من أهل إشبيلية إلى أن توفي بها سنة (٥٥٣هـ/١١٥٨م) [٤].

كما أوقفت على جماعة من العلماء الأندلسيين دروسا ونشروا العلم بمدينة فاس، وإن لم يحدد موضع دروسهم، أو كراسيهم، ومنهم:

- **أبو العباس، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري،** توفي قريباً من سنة (٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) من بلدة شارقة من نوحي بلنسية، وسكن وفاساً ودروس بها[٥] .

([١]) عبد الهادي التازي، جامع القرويين، ج٢، ص٣٦٧.

([٢]) المرجع نفسه، ج٢، ص٣٨٧.

([٣]) عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج٢، ص٣٨٩

([٤]) ابن الأبّار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبدالسلام الهراس،(دارالفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج٢، ص٢١.

([٥]) ابن عبدالملك المراكشي :الذيل والتكملة لكتابي التكملة و الصلة ، تحقيق: محمد بن شريفه، (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م)، ج١، ص٧٥؛ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد (ت:٧٩٩هـ): الديباج المُذّهَب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: علي عمر، (مكتبة الثقافة الدينية، مصر، الطبعة الأولى،١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ج١، ص١٩٦؛ ابن القاضي، جذوة المقتبس، ج١، ص١٣٧.

- **أبو بكر، محمد بن أغلب بن أبي الدَّوس** (ت٥١١هـ/ ١١١٧م) من أهل مرسية، واستقر بفاس وانتفع به طلبة العلم ومحبيه[١].

- **أبو القاسم، خلف بن محمد بن غفول** (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)، من أهل شاطبة، سكن مدينة فاس، وأخذ عنه الكثير من طلابها[٢].

- **أبو القاسم، خلف بن يوسف بن فرتون** (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م) من كبار علماء شنترين، انتقل إلأى مدينة فاس حيث أقام بها معلماً[٣].

- **محمد بن حكم بن أحمد بن باق الجذامي** (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، من أهل سرقسطة، ثم فاس، ودرس بها العربية[٤].

- **أبو العباس، أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله التدميري** (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، من أهل تدمير، نشر علم النحو في فاس وتوفي بها[٥].

---

(١) ابن الأَبار، التكملة ،ج١، ص٤١٢-٤١٣؛ ابن القاضي،جذوة المقتبس، ج١، ٢٥٤؛ الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات، ج٢، ص٣٥١.

(٢) ابن القاضي، جذوة المقتبس، ج١، ص١٩٢؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج٣، ص١٦١.

(٣) ابن الأبّار، التكملة، ص٤٦٤؛ المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ، (دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ، ص ٢٠٨.

(٤) ابن بشكوال: ص٥٦؛ ابن الآبار : تحفة القادم ، تحقيق: إحسان عباس،(دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م) ص٥٠؛ التكملة ج١،ص٤٤١، وفيها وفاته سنة ٥٣٤هـ؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي الطويل، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج١، ص٣٦٩؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة ، ج٦، ص١٧٧-١٧٨؛ ابن القاضي، جذوة المقتبس، ج١، ٢٥٥-٢٥٦.

(٥) ابن الأَبار، التكملة،ج١، ص٤٤١ وفيها وفاته سنة ٥٣٤هـ؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص٣٦٩؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج٦، ص١٧٧-١٧٨؛ ابن القاضي، جذوة المقتبس، ج١، ٢٥٥-٢٥٦.

- **محمد بن عبد الله بن محمد بن خليل القيسي** (ت٥٧٠هـ/ ١١٧٤م)، من أهل لبلة، ثم استقر في فاس فترة، انتفع منه عدد من طلابها[١].

- **محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري** (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، من أهل إشبيلية، انتقل للإقامة في مدينة فاس فترة من الزمن، فتصّدر للإقراء فيها[٢].

- **عيسى بن محمد الغافقي** (ت٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)، ارتحل من الأندلس إلى فاس، فلزم مهنة التعليم خلال إقامته فيها[٣].

- **عبد الله بن محمد بن علي الحجري الألميري** (ت٥٩١هـ/ ١١٩٤م)، من أهل المرية، انتقل بعد ذلك إلى مدينة فاس ردحاً من الزمن يقرئ ويسمع فيها[٤].

- **أبو عبد الله، محمد بن عمر** (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م)، من أهل مالقة، انتقل إلى فاس، وتصدر للكتابة والإقراء فيها[٥].

- **أبو ذر، مصعب بن محمد بن مسعود الخشني** (ت٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م)، من أهل جيّان، استوطن مدينة فاس، وأقام بها يُقرئ العربية ويُدّرس[٦].

---

(١) ابن الأّبار، التكملة،ج١، ص٢٣٣.

(٢) ابن الأّبار، التكملة، ج١، ص٢٤٩؛ ابن القاضي، جذوة المقتبس، ج١،ص ١٦٨.

(٣) ابن الأّبار، التكملة ، ص٢٦.

(٤) ابن الأّبار، التكملة ، ص٨٦٩؛ ابن القاضي، جذوة المقتبس، ج٢، ٤٢٧-٤٢٨.

(٥) ابن الأّبار، التكملة ، ص٣٢٩؛ ابن القاضي، جذوة المقتبس، ج١، ص١٩٩-٢٠٠.

(٦) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٤٩؛ ابن الأّبار، التكملة ، ص٣٨٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص٧١-٧٢؛ المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب مع ذكر وزيره لسان الدين ابن بالخطيب، تحقيق:إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م) ج٤، ص١٠٣٧.

- **أبو الحسين محمد بن أحمد بن** جبير (ت٦١٤هـ/ ١٤١٧م)، من أهل بلنسية، ثم عاش في مدينة فاس فترة من الزمن للتدريس فيها[١].
- **أبو القاسم، أحمد بن عمر الأنصاري الخزرجي** (ت٦١٦هـ/م)، من أهل قرطبة، سكن مدينة فاس، وروى عنه جماعة من العلماء[٢].

وقد تولى الخطابة بفاس جمع من العلماء الأندلسيين، منهم:

- **علي بن موسى بن خلف،** أبو الحسن بن النقرات، الأنصاري السالمي الأندلسي الجيّاني وولي خطابة فاس[٣].
- **الخطيب أبو عبد الله، بن عبد الرحمن الخزرجي الشلبي** (ت ٦٢٨هـ/١٢٣٠م)، ولي الخطبة بجامع القرويين[٤].
- **ابن عباد، محمد بن يحيى بن إبراهيم الرندي** (ت٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م)، ظل خطيباً بالقرويين خمسة عشرة سنة [٥].

ولم أقف على علماء فاسيين كان لهم علاقة علمية مع المراكز العلمية بالأندلس، على كثرة جوامعها ومدارسها، وقد يعزى ذلك السبب من إهمال نسبي للرحلة العلمية من فاس إلى الأندلس.

---

(١) ابن عبد الملك:، الذيل والتكملة، ج٥، ص٥٩٥

(٢) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص١١٠؛ ابن القاضي، جذوة المقتبس، ج١، ١٣٨-١٣٩، ١٤٤-١٤٥؛ ابن عبدالملك، الذيل والتكلمة، ج٢، ص٣٤٧-٣٤٨.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: مجموعه من الباحثين، (دارالنشر فرانز شتايز، فيسبادن،الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ) ،ج٧، ص٨٢.

(٤) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٤٨؛ ابن القاضي،جذوة المقتبس، ص٣٥؛ الجزنائي،زهرة الآس، ص٥٩.

(٥) الكتاني، سلوة الأنفاس، ج٢، ص١٤٣، ص١٣٣.

ثانيًا: تبادل الكتب العلمية بين الأندلس ومدينة فاس:

عند الحديث عن تداول الكتب العلمية بين منطقتين، فإن هذا الأمر يثير العديد من الأسئلة حول صناعة الورق، وخزان الكتب، ومهنة الوراقة وجودة الخط، إضافة إلى نوعية الكتب المتداولة وأهميتها في العلوم، وغير ذلك. وأحاول في هذا البحث أن ألقي الضوء على صناعة الورق التي ساعدت في حركة التداول العلمي بالكتب بين الأندلس و مدينة فاس لتعطي فكرة واضحة عند دراسة أهم الكتب العلمية التي انتقلت من و إلى الأندلس.

- صناعة الورق فى المراكز الأندلسية ومدينة فاس:

ساهمت الأندلس بدور فعال في صناعة الورق الجيد (الكاغد) منذ وقت مبكر سبقت به أوروبا قروناً عديدة، ومما ساعد على انتشار الكتب وازدهار الحياة العلمية انتشار صناعة الوراقة في الأندلس حيث تولى الوارقون نسخ ما يظهر من مؤلفات، كما اشتهرت الأندلس بمصانع الورق حيث أُنشأ فيها أول معمل لصناعة الورق في شاطبة سنة (٥٤٥هـ/ ١١٥٠م) وكان لها شهرة واسعة في صناعة الورق الجيد [١]. فلقد كان في شاطبة مصانع كبيرة للورق[٢] ، يصدر كثير منه إلى مدن

---

(١) المقري، نفخ الطيب، ج١، ص١٦٦ يقول فيها: (أعمال بلنسية شاطبة ويضرب بحسنها المثل ويعمل بها الورق الذي لا نظير لها) ؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤هـ) ، ص٣٣٧.

(٢) عُثر في مكتبة اسكوريال في مخطوطة مكتوبة سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) على ورق مصنوع من القطن وهي تدل دلالة قاطعة على أن العرب أول من أَحَلّ الورق محل الرق. انظر غوستاف لبون: حضارة العرب، ترجمة : عادل زعيتر، (مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، ب.ت) ،ص ٤٨٢.

المشرق[١]، ولا نستبعد منها مدينة فاس. ثم انتزعت طليلطة منها شهرة صناعة الورق في القرن الخامس الهجري[٢]. كما تميزت بهذا الإنتاج أيضاً بلنسية[٣]، وفي عهد الموحدين انتشرت معامل الورق في أكثر من مدينة مغربية وأندلسية، وقد نقلها عرب الأندلس من بغداد التي أنشئت عام (١٧٨هـ/ ٧٩٤م) كما انتقلت منها بواسطة عرب صقلية والأندلس إلى أوربا[٤].

وفي مدينة فاس انتشرت معامل الورق فقدرت في عهد السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين، حيث بلغت معاملها: (١٠٤) معملاً للورق، أما في عهد السلطان

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،(عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ،١٤٠٩هـ)، ص٦٥٦.

(٢) محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، (دار المغرب،الرباط، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ، ص٢٥٦، سعد البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ٤٢٢-٤٨٨هـ/ ١٠٣٠-١٠٩٥م، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص٥٥٧-٥٥٨..

(٣) فصناعة الورق فيها احتكرها المدجنون وشاركهم في صنعته بعض اليهود قبل استيلاء الملك خايمي الأول عليها سنة ٦٠٤هـ /١٢٠٧م .انظر: ناصر بن ماجد الهاجري: أوضاع المسلمين في بلنسية في عهد الملك الاراغوني خايمي الأول (٦٠٤هـ/ ٦٧٤- / ١٢٠٧-١٣٧٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ١١٥-١٥١.

(٤) محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ص٢٥٦، ٢٨٧؛ عز الدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس عشر الهجري، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ب.ط،٢٠٠٣م) ص٢٢٣-٢٢٩.

الموحدي يعقوب المنصور وابنه محمد الناصر فقد كانت هذه المدينة تحوي ما يناهز (٤٠٠) محجر لعمل الورق[١].

والوراقة: وهي مهنة بيع الكتب، أي أشبه ما يكون بمكتبات بيع الكبت في عصرنا، وهي مشتقة في اللغة من الورق: أي صحائف المصحف ونحوه واحدته ورقة والورَّاق مُعاني كتابتها وحِرفته الوِرقة [٢]. يقول عز وجل: [اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ # الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ # علّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ][٣]. وفي قوله تعالى: [ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ][٤]. من منطلق هذه الآيات الكريمة التي فيها أضاف الله إليه تعليم الخط وامتن به على الإنسان جاء تنافس كثير من العلماء والكتاب في اتخاذ مهنة الوراقة لتولي نسخ ما ظهر من الكتب وتدوين ما استنبط من المعارف؛ لينتفع بها الإنسان، ولتزداد العلوم بتلاحق الأفكار وانتقال الأخبار من زمان إلى زمان، وحملها من مكان إلى مكان [٥].

وكانت الوراقة أحد روابط العلاقات العلمية بين الأندلس وفاس، كما كان لها دور كبير في ذلك، فلقد كان الحكم المستنصر من قبل قد جمع بداره الحذّاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد[٦] ولقد أثنى المقدسي على

---

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٤٩؛ الجزنائي، زهرة الأس، ص٨٠.

(٢) الفيروز آبادي: القاموس المحيط،(مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الرابعة،١٤١٥هـ) ، ج١، ص١١٩٨؛ ابن سيده الأندلسي: المخصص، (دار إحياء التراث،بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ، ج٤، ص٨.

(٣) سورة العلق: ٣ – ٥ .

(٤) سورة القلم، الآية (١).

(٥) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى)، ج١، ص٧٨-٨٢.

(٦) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٨٦؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، تحقيق: عبد الله أنيس الطبّاع ،(دار النشر جامعيين، بيروت، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م).

وراقي الأندلس ووصفهم بأنهم : (أمهر الوراقين وأحذقهم في هذا العمل، ووصف خطوطهم بأنها مدورة) [١]، كما يشير ابن سعيد إلى أن الخطوط الأندلسية لها حسن فائق ورونق وبهاء يأسر اللبا، وترتيب يشهد لمن كتبها بقوة الصبر والجلد والإتقان[٢].

ولقد تأثرت مدن المغرب بها فيها مدينة فاس بالخط الأندلسي خاصة عندما افترق أهل الأندلس في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها بعد أن تغلبت الأمم النصرانية عليهم[٣]. فيذكر ابن خلدون أنه لاحظ وفود لون من الخط الأندلسي على مدينة فاس المرينية فجمع كُتاب مدينة فاس بينه وبين الخط المعروف لديهم، فأنتج خطاً جديداً[٤].

وبما أن الوراقة من الروابط العلمية بين فاس الأندلس ، فيلاحظ ظهور العديد من الأندلسيين ممن امتهن الوراقة منهم: عيسى بن محمد بن شعيب الغافقي الوراق (ت٥٨٧هـ/١١٩١م) من أهل قرمونة يكني أبا موسى روى عن أبي بكر بن العربي، وكان فقيهاً عارفاً بالوثائق والعربية كاتبا شاعرا أخرج من وطنه واستقر بمدينة فاس[٥]. فاس[٥].

ومحمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري (ت٦٤٥هـ/١٢٤٧م) يكنى أبا عبد الله ويعرف بالطراز من أهل غرناطة كان رحمه الله تعالى مقرئاً جليلاً ومحدثاً حافلاً وبه ختم بالمغرب هذا الباب التبة وكان ضابطاً متقناً ومقيداً حافلاً بارع الخط

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،(مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٧م)، ص٣٩.
(٢) المقري: نفخ الطيب، ج٤، ص١٩٨نقلاً عن ابن سعيد.
(٣) محمد الصادر عبد اللطيف: الخط الأندلسي .... تاريخ وفكر ومسيرة، (مجلة التاريخ العربي، العدد١٥، الرباط، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص٣٧١؛ يوسف بن علي بن إبراهيم العريني: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، (مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ص١٣٠.
(٤) عبد الإله بنمليح: مدينة فاس في ذاكرة ابن خلدون، (مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد٤٥، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص٢٧٩.
(٥) ابن الآبار، التكملة ، ج٢، ص٢٠

حسن الوراقة، كتب بخطه كثيراً وترك أمهات حديثية اعتمدها الناس بعده، وتوفي بغرناطة [١].

ولم تكن سوق الوراقة نافقة في كل عصور الأندلس وفاس، بل مرت بها فترات مخالفة يصورها حال الشاعر أبي محمد بن سارة (ت٥٧١هـ/ ١١٢٤م)، وهو من شنترين بالأندلس، وانتقل منها إلى إشبيلية، فانتجع الوراقة على كساد سوقها، وفساد طريقها، فتركها وانشد فيها:

أما الوِراقة فهي أنكدُ حِرفة أغصانُها وثمارُها الحرمان
شبهتُ صاحبها بإبرةَ خائطٍ تكسو العراَ وجسمُها عُريان[٢].

وكذلك كان الحال في فاس أيضاً، فالمقري بذكر حال الرميمي لما اضطر لامتهانها فيقول: (لما خلع أهل المرية طاعة عبد المؤمن، وقتلوا نائبه ابن مخلوف، قدموا عليهم أبا يحيى ابن الرميمي، ثم كان عليه من النصارى ما علم، ففر إلى مدينة فاس، وبقي بها ضائعاً خاملاً، يكسن في غرفة، ويعيش من النسخ، فقال:

أمسيت بعد الملك فى غرفة ضيقة الساحة والمدخل

---

(١) ابن الآبار، التكملة ، ج٢، ص١٣؛
Maya Shatzmiller : The Legacy of the Andalusian Berbers in the fourteenth Century its role in the formation of Maghrebi historical identity and historiography- Relaciones de la Peninsula Iberica con El Magreb Siglos XIII- XVI- Madrid, 1988, pp.205-207.

(٢) الكلبي، ابن دحيه (ت:٦٣٣هـ): المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري وآخرون، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٧٨م) ، ج١، ص٢١؛ الأصفهاني،جمال الدين محمد بن محمد (ت:٥٩٨هـ): خريدة القصر وجريدة العصور،تحقيق: آذرتاش آذرنوش، (الدار التونسية للنشر والتوزيع،تونس،الطبعة الثانية، ١٩٨٦م) ج٣، ص٦٣.

تستوحش الأرزاق من وجهها فما تزال الدهر فى معزل

النسخ بالقـــــوت لديهـــا ولا تقرعها كف أخ مفضل[١]

- المكتبات وخزانات الكتب:

نبغت الوراقة في الجملة بفاس في عهد بني مرين، لكثرة ما أوقفوه من الكتب وبنوه من المدارس ذات الخزائن الكبيرة، ولذا عرف عهدهم بكثرة بناء المدارس حتى أطلق عليه المؤرخون : (عصر بناة المدارس) [٢] ، وحرصوا على وجود الخزانات فيها التي حفظوا من خلالها على كتب الأندلسيين خاصة في عصر السلطان يعقوب بن عبد الحق بعد سقوطها وقدرت بثلاثة عشر حملاً ووضعوها في المدرسة التي بناها في المدينة، وجعلها وقفاً [٣] وقد نهج بعده أحفاده نهجه فجعلوا جميع الكتب التي في خزائن مدارسهم وقفاً وسار على هذه السبيل من بعده سلاطين بني مرين كما فعله السلطان أبو الحسن وولده أبو عنان[٤]

ومن أشهر الخزانات العلمية التي كانت بمدينة فاس:

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٥٣٣، ٥٣٤.

(٢) عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ شالة الإسلامية، (دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ص٣٣٠؛ نعيمة الحضري: المدارس المرينية بفاس (دراسة تاريخية وحضارية)، (مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المغرب، العدد٣٨، خريف ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ، ص٣٧٦.

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ، (مؤسسة جمال للطباعة و النشر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ، ج٧، ص٢٠٩-٢١٠.

(٤) الجزنائي، زهرة الآس، ص١١٢؛

Arié, R.: El Reino Nasri de Granada (1232-1492)-Madrid, 1992, pp.331

- خزانة أبي يوسف المريني، وهي ملحقة بمدرسة الصفارين.
- خزانة أبي سعد المريني.
- خزامة أبي الحسن المريني، وقد ظلت تؤدي وظيفتها لمدة قرون من الزمن.

خزانة القرويين، والتي تعتبر من أهم الخزانات العامة بالمغرب؛ بل في العالم كله، وقد أسسها السلطان أبو عنان المريني حيث بنى لها مقراً بالناحية الشرقية من صحن جامع القرويين عام (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، ووقف عليها كتباً شتى في مختلف العلوم والفنون، وكُتب فوق باب الخزانة مباشرة كتابة بخط نسخي جميل: (الحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده، ورضي الله عن الخلفاء القائمين بالحق من بعده، مما أمر به من أحيا الله بإيالته الأنام، وتدارك بدولته الإسلام، أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، قطب ملوك الزمان، المظفر المنصور المولى أبو عنان، أبي الخلفاء الراشدين المرضيين، أدام الله للمسلمين أيامه، ونصر أعلامه، أنشأ هذه الخزانة السعيدة، الجامعة للعلوم الحميدة، المشتملة على الكتب التي أنعم بها من مقامه الكريم، المحتوية على أنواع العلوم، الواجب بها التعظيم، والتكريم، جعل ذلك نصرة الله وقفاً مؤبداً لجميع المسلمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، حرصاً منه أيده الله على طلبة العلم وإظهاره واتقائه واشتهاره، وتسهيلاً لمن اراد القراءة والنسخ منها والمطالعة والمقابلة، وليس لأحد أن يخرجها من أعلى المودع التي هي فيه، ولا يغفل المحافظة عليها والتنويه، أراد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم، ضاعف الله بذلك حسناته، ورقي في الجنان درجاته، وأطال ملكه، ونظم بالصالحات سلكه، وذلك في جمادى الأولى عام خمسين وسبع مئة، أوصله الله

بالبركات الزكية) [١] . وقد حوت الخزانة على عدد من النفائس والمخطوطات، وأكثر الكتب التي تمت إلى الأندلس بصلة وثيقة ، والتي هي إلى الآن في خزانة القرويين يرجع تاريخ وقفها إلى المرينيين.

ومن المؤكد أن جامعة القرويين ما كان لها أن تواكب المد المعرفي المتنوع، وتحقق المستوى العلمي المنشود الذي عرفته عبر القرون؛ إلا بالرافد الأساسي الذي تمثله خزانة علمية غنية بالكتب والمخطوطات.

- الكتب التي انتقلت من فاس إلى الأندلس:

انتشر الفقه المالكي في بلاد المغرب الإسلامي بواسطة تلامذة الإمام مالك الذي رحلوا إليه منها، فكانوا حجر الأساس الراسي في هيكلة الفقه الإسلامي بالمغرب، وأول من أدخل "مدونة سحنون" مدينة فاس هو درَّاس بان إسماعيل (ت ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م) وكان ذلك بعد رحلته غلى الحج، وتوفي درَّاس في مدينة فاس[٢] .

ودخل علم مالك الأندلس عن طريق أبي القاسم، خير الله بن القاسم الأندلسي، من فقهاء القرن (ق٤هـ/ ق ١٠م) الفقيه الصالح الورع، نزيل عدوة الأندلس من مدينة فاس، وهو أول من أدخل علم مالك إليها، ويعتبر من مشاهير فقهائها ومتقدميهم[٣] .

ويحتمل أن خير الله أخذ مدونة سحنون من دراس للأندلس، ويحتمل أن يكون أدخلها دراس نفسه الأندلس لأن دراساً كان رجلاً صالحاً دخل الأندلس مجاهداً وتردد

---

(١) التازي:، جامع القرويين، ج٢، ص٣٣١.

(٢) الجزئاني، زهرة الآس، ج٢، ص٣٣١ ؛ ابن فرحون، الدبياج، ص٢٠٠؛ ابن القاضي: جذوة المقتبس، ص١٩٤-١٩٦.

(٣) الجزنائي، زهرة الآس، ص٢١-٢٢؛ ابن فرحون، الدبياج، ص٢٠٠؛ ابن القاضي،جذوة المقتبس، ص١٩٤-١٩٦، الكتاني، سلوة الأنفاس، ج٢، ص١٧٦-١٧٧.

إلى الثغور[١] . وقد اعتنى العلماء المالكية بمدونة سحنون، ومن المناسب التعريف بها وبصاحبها هنا.

- "**مدونة سحنون**".

سحنون هو: الإمام العلامة، فقيه المغرب أبو سعيد، عبد السلام بن حبيب بن حسان التنوخي، قاضي القيروان، ويلقب بسحنون، وتفسير سحنون بأنه اسم طائر بالمغرب يوصف بالفطنة والتحرز، وهو بفتح السين وبضمها.

ارتحل وحج، وسمع من: سفيان بن عيينة، والوليد بن مسلم، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم، ووكيع بن الجراح، وأشهب ، وطائفة، ولم يتوسع في الحديث كما توسع في الفروع.

وقد لازم سحنون أئمة المالكية: ابن وهب، وابن القاسم، وأشهب، حتى صار من نظرائهم، وساد أهل المغرب في تحرير المذهب، وانتهت إليه رئاسة العلم، وعلى قوله المعول بتلك الناحية، وتفقه به عدد كثير، وكان موصوفاً بالعقل والديانة التامة، والورع، مشهوراً بالجود والبذل وافر الحزمة، عديم النظير، وتفي سنة (٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)[٢] .

---

(١) ابن القاضي، جذوة المقتبس، ج١، ص١٧٤-١٧٥؛ القاضي عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، خرجه وعلق عليه وقدم له: محمد بن داود الطنجي، (وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الرباط) ، ج١، ص٤٦١؛

Maya Shatzmiller: The Legacy of the Andalusian Berbers, pp.205-207.

(٢) ترجمته في: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٦٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أنباء الزمان، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد،(النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ/١٩٨٠م)، ج٣، ص١٨٠؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٢، ص٥٨٥، ٦٢٦؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص٣٠؛ ابن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٤٩هـ)، ص٧٠.

والمدونة هي في الأصل أسئلة، سألها أسد بن الفرات لابن القاسم (ت١٩١هـ/٨٠٦م)، قيل: إنه رجع من العراق، فدخل على ابن وهب، فقال: هذه كتب أبي حنيفة، وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك ، فأبى، وتورع، فذهب بها إلى ابن القاسم، فأجابه بما حفظ عن مالك، وبما يعلم من قواعد مالك، وتسمى هذه المسائل "الأسدية".

وحمل عنه سحنون بن سعيد، ثم ارتحل سحنون بـ"الأسدية" إلى ابن القاسم، وعرضها عليه، فقال ابن القاسم: فيها أشياء لابد أن تغير، وأجاب عن أماكن، ثم كتب إلى أسد بن الفرات: أن عارض كتبك بكتب سحنون، فلم يفعل، وعز عليه، فأبلغ ذلك ابن القاسم، فتألم، وقال: اللهم لا تبارك في الأسدية، فهي مرفوضة عند المالكية، ثم رتب سحنون المدونة، وبوبها، واحتج لكثير من مسائلها بالآثار من مروياته[١]، واتبع المالكية مدونة سحنون على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الأبواب فكانت تسمى المدونة المختلطة. وللقاضي عياض، مؤلف على المدونة أسماه: "التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة والمختلطة"، جمع فيها غرائب وفوائد[٢].

وفي المقابل رحل من الأندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك في الأندلس ودون فيه كتاب الواضحة، ثم دون العتبي من تلامذته كتاب العتبية.

وقد عكف أهل القيروان على هذه المدونة وأهل الأندلس على الواضحة والعتبية، ثم اختصر ابن أبي زيد المدونة، والمختلطة في كتاب المسمى بالمختصر،

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٢٢٦.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، (دار الفكر،١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ج٢، ص١٦٤٤؛

Maya Shatzmiller: The Legacy of the Andalusian Berbers, pp.205-207.

ثم وضع كتابه "الرسالة" ولخص أيضاً أبو سعيد البرادعي[١]، المدونة في كتابه المسمى بالتهذيب ، واعتمده المشيخة من أهل إفريقية وأخذوا به وتركوا ما سوها، وكذلك اعتمد أهل الأندلس كتاب "العتبية" وهجروا الواضحة، وما سواها، ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمهات بالشرح والإيضاح والجمع[٢]

يقول الذهبي عن "المدونة" : (فيها أشياء لا ينهض دليلها، بل رأي محض، وحكوا أن سحنون في أواخر الأمر علّم عليها، وهم بإسقاطها وتهذيب "المدونة" فأدركته المنية رحمه الله، فكبراء المالكية، يعرفون تلك المسائل، ويقررون منها ما قدروا عليه، ويوهنون ما ضعف دليله، فهي لها أسوة بغيرها من دواوين الفقه، وكل أحد فيؤخذ من قوله ويترك إلا صحاب ذاك القبر صلى الله لعيه وسلم تسليماً، فالعلم بحر بلا ساحل، و هو مفرق في الأمة، موجود لمن التمسه[٣]

-تدريس الأندلسيين والفاسيين للمدونة:

تميزت فاس عن الأندلس في طريقة تدريس المدونة، فقد برع الفاسيون في ذلك بصورة بارزة، يقول المقري: (وقد كان للقدماء، رضي الله عنهم، في تدريس المدونة **اصطلاحان:** اصطلاح عراقي، واصطلاح قروي؛ فأهل العراق: جعلوا من مصطلحهم مسائل مدونة كالأساس، وبنو عليها فصول المذهب بالأدلة والقياس، ولم

---

(١) البرادعي هو: خلف بن القاسم بن سليمان الأزدي، القيرواني، المالكي من حفاظ المذهب، من كبار أصحاب أبي الحسن القابسي، خرج مهاجراً للقيروان إلى صقلية، ثم إلى أصبهان، فدرس بها إلى أن توفي سنة (٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)، له تهذيب المدونة، والاختصارات الواضحة وغيرها. أنظر ترجمته: القاضي عياض، ترتيب المدارك ،ج٣، ص٧٠٨؛ ابن فرحون، الديباج، ص١١٢.

(٢) صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٧٨م) ، ج٢، ص٤١٠.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٢٦؛

Maya Shatzmiller: The Legacy of the Andalusian Berbers, pp.205-207.

يعرجوا على الكتاب بتصحيح الروايات، ومناقشة الألفاظ، ودأبهم القصد إلى إفراد المسائل، وتحرير الدلائل، ورسم الجدليين، وأهل النظر من الأصوليينح، وأما الاصطلاح القروي: فهو البحث على ألفاظ الكتاب، وتحقيق ما حتوت عليه بواطن الأبواب، وتصحيح الروايات وبيان وجوه الاحتمالات والتبنيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب، واختلاف المقالات، مع ما انضاف إلى ذلك من تتبع الآثار، وترتيب أساليب الأخبار، وضبط الحروف على حسب ما وقع من السماع، وافق ذلك عوامل الأعراب أو خالفها ..) إلى أن قال: (وأما أهل الأندلس فالغالب عليهم فيهقة البلاغة، في حسن رصف الكلام وانتقائه، مثل عبارة القاضي عياض في تآليفه[١] ، التي لا تسمح القرائح بالإتيان بمثلها والنسج على منوالها) [٢] .

فتبين من هذا النقل كيف كان تناول الأندلسيين للمدونة، وتناول الفاسيين لها، وهذا الاختلاف يؤدي إلى تداول للكتب المصنفة على المدونة غالباً. إلا أن الفاسيين لم يخرجوا كثيراً عن المدونة لغيرها من كتب المذهب ردحاً من الزمان، واكتفوا غالباً بها وبتهذيبها وبرسالة ابن أبي زيد، رغم أن كثيراً من المصنفات المالكية المفيدة كانت قد انتشرت عندهم.

يصور لنا المقري هذا الأمر بما نقله عن الونشريسي – صاحب " المعيار– من تأسفه على عدم انتشار مختصر ابن عرفة[٣]، الفقهي بين الطلبة بفاس، بل

---

(١) سبق قريباً أن للقاضي عياض تنبيهات على المدونة أيضاً.

(٢) المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م)، ج١، ص٤٢٤.

(٣) ابن عرفة هو: محمد بن محمد بن محمد بن عرفة أبو عبد الله الورغمي (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م)، من أفريقية التونسي المالكي عالم المغرب المعروف بابن عرفة، وصنف في كل من الأصلين مختصراً. انظر ترجمته: الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د.ت) ، ج٢، ص٢٤٨.

وتحقيرهم له، إذ يقول: (تأمل ها هنا الثناء على شيخ الإسلام، الإمام أبي عبد الله بن عرفة، أسكنه الله دار السلام، وعلى تآليفه، لاسيما مختصره الفقهي، الذي أعجز معقوله ومنقولة الفحول، خلافا لبعض القاصرين من طلبة فاس، فإنهم يقولون: ما يقول شيئاً، يطفئون نور الله، ويحتقرون ما عظم الله، ومستندهم في ذلك بزعمهم حكاية تؤثر عن الشيخ المحقق أبي العباس القباب، لا رأس لها ولا ذنب، وحاشاه من ذلك، وما أراهم في هذا إلا كما قال **الأول:**

وكم من عائب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقم) [1] .

ويضيف المقري عن الونشريسي قوله: (ولقد حبس ملوك المغرب، رضوان الله عليهم، بخزانتي القرويين والأندلس، من هذا الديوان المبارك – أي: مختصر ابن عرفة– نسخا عديدة، ثم لا يعجر عليها للمطالعة في هذا الوقت أحد من الطلبة الحضرة، شتاء ولا صيفا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، بخلاف ما قيد عن الشيخ الجزولي، وأبي الحسن الصغير، فإنك تجدهم يزدحمون عليها في كل زمان، وخصوصاً فصل الشتاء، لا يلحق الآخر منها ورقة واحدة، مع كثرة عددها بحيث ذكر، بل تجدهم يتنافسون في اتقنائها، بالأثمان العظيمة المجحفة، ومن ملك منهم المسبع من الجزولي، وتقييد اليحمدي، حاز مذهب إمام دار الهجر على التمام، والقائم بأمره. ولقد كان الحسن المغيلي عندهم في أعلى طبقة من الفقه والتفقه، لقيامه على مسبع الجزولي نقلا، ولقد شاهدتهم يتساقطون كالفراش، على نسخة من الجزولي بخزانة القرويين، وزعموا أنهم بخط أبي الحسن المذكور، وهي مشحونة بالتصحيف، تعمي البصر والبصائر، نور الله قلوبنا بذكره، وعمر ألسنتنا بشكره، ووفقنا لما فيه رضاه عنا[2] .

([1]) المقري، أزهار الرياض، ج١، ص٢٤٥.

([2]) المصدر نفسه و الجزء و الصفحة.

ومن هذا النقل نعلم أن اهتمام الفاسيين كان بالتقييدات على رسالة ابن أبي زيد القيرواني أكثر من مختصر ابن عرفة، ولعله من المناسب أن تعرف على رسالة ابن أبي زيد وتقييداتها هنا.

- "**رسالة ابن أبي زيد**"

ابن أبي زيد هو: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي شيخ المغرب وإليه انتهت رئاسة المذهب قال القاضي عياض حاز رئاسة الدين والدنيا، ورُحل إليه من الأقطار ونجب أصحابه وكثر الآخذون عنه، وهو الذي لخص المذهب وملأ البلاد من تواليفه، وسمع من أبي سعيد بن الأعرابي وغيرها وكان يسمى مالكاً الصغيرة، وقيل: إنه صنع رسالته المشهورة وله سبع عشر سنة، ووقع التنافس في اقتنائها حتى كتبت بالذهب[1].

وأما عن شروحات الرسالة؛ فاشهر من شرحها الجزولي، وه والشيخ الفقيه الحافظ أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي أبو زيد: فقيه مالكي معمر، من أهل فاس، كان أعلم الناس في عصره بمذهب مالك، وكان يحضر مجلسه أكثر من ألف فقيه معظمهم يستظهر "المدونة" وقيدت عنه على "الرسالة" ثلاثة (تقاليد) أحدها في سبعة مجلدات، والثاني في ثلاثة، الآخر في اثنين، قال ابن القاضي: وكلها مفيدة انتفع الناس بها بعده، وقال: عاش أكثر من مئة وعشرين سنة وما قطع التدريس حتى توفي سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) [2].

([1]) انظر ترجمته في: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١٠؛ القاضي عياض،ترتيب المدارك، ج٤، ص٤٩٢؛ ابن مخلوف،شجرة النور، ج١، ص٩٦.

([2]) ابن قنفذ: الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، (دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، ج١، ص١٣.

فهذه كانت أكثر الكتب التي تداولت في فاس، ومعلوم أن الأندلسيين إذا حضروا فاساً، فكانوا يتلقون منهم هذه العلوم من تلك الكتب أيضاً.

- ما جلب من الأندلس إلى فاس من الكتب:

وقد وقفت على بعض منها، ففي ترجمة محمد بن أحد بن لواء الأنصاري (ت٥٤٦هـ/١١٥١م)، ذكروا أنه كان فقيهاً حافظاً عارفاً بأصول الفقه، قام بتصنيف مسائل الخلاف في سبعة أسفار، وقد ذكر أنه حين قدم إلى فاس بعث بشيء منها إلى أبي موسى عيسى بن الملجوم[١] .

ولم يتبين لي ما هذه الكتب، والظاهر أنها في مسائل الخلاف في الفقه المالكي، وكونها سبعة أسفار يدل على الاتساع في المناقشات الفقهية بها.

وفي ترجمة محمد بن أحمد البغدادي الخزرجي (ت٥٤٦هـ/١١٥١م) من أهل جيان، يعرف بالبغدادي لطول إقامته فيها، جلب منها إلى الأندلس كتاب أحكام القرآن وكتاباً في أصول الفقه وكتاب الرد على أحمد بن حنبل. ويحتمل أنه مر بها على فاس أيضاً لأنه خرج من جيان في الفتنة والشدة التي لحقت أهلها عند تقبلها في أول الموجدين فكان ممن استقر بفاس[٢] .

لكن أشهر ما جلب من الأندلس إلى فاس كانت كتب النحو، فقد اشتغل أهل الأندلس بالنحو أكثر من الفاسيين، ومن الكتب التي وقفت عليها مما جلب إلى فاس:

---

(١) ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج٥، ص٥٨٣؛
Maya Shatzmiller : The Legacy of the Andalusian Berbers, pp.205-207.

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص٢٦٢؛ المقري ،نفح الطيب، ج٢، ص١٥٦.

- **المرادي على "ألفية ابن مالك"**

المرادي هو: بدر الدين أبو علي الحسن بن قاسم بن علي المصري المرادي (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، و"ألفية ابن مالك" هي :الألفية في النحو، للشيخ العلامة جمال الدين أ[ي عبد الله: محمد بن عبد الله الطائي الجياني المعروف: بابن مالك النحوي، (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، وهي منظومة مشهورة جمع فيها: مقاصد العربية[١] .

وقد أدخلها إلى فاس: محمد بن علي بن حياتي الغرناطي (ت٧٨١هـ/ ١٣٧٩م)، من أهل غرناطة، أخذ عنه عدد من طلبة العلم، وذكروا في ترجمته أنه هو أول من أدخل كتاب المرادي على ألفية ابن مالك لمدينة فاس[٢] .

- "**الكتاب لسيبويه**"

وهو من أشهر كتب النحو لأبي بشر عمرو بن عثمان بالملقب بسيبويه لأنه كان يحب شم التفاح، ويكثر ذلك، والسيب: التفاح، وويه: رائحته، فلقبوه بسيبويه، وهو النحوي البصري الحارثي، وكان كتاب سيبويه لشهرته وفضله: علماً عند النحويين، فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب فيعلم أنه: كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب فلا يشك أنه: كتاب سيبويه، ولم يزل أهل العربية يفضلونه حتى قال المبرد: لم يعمل كتاب في على من العلوم مثله، وعليه: شروح وتعليقات وردود نشأت من اعتناء الأئمة واشتغالهم به[٣] .

وقد نقل المقري عن ابن خلدون وغيره من أئمة التاريخ أن أهل فاس أخذوا اللغة والعربية من أهل الأندلس، واستدل على ضعفهم في اللغة في بأنه: (لم يتصدر

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص١٥٢.
(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص٢٣٧؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج٣، ص ٢٧٨-٢٧٩.
(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٤٢٨.

من الفاسيين من يقرئ "الكتاب" كما هو متناول بين أهل الأندلس، مثل ابن أبي الربيع[١] ، والشلوبين[٢] ، وغيرهما، لوجود ملكة النحو في قطر الأندلس، بسبب رحلة علمائها إلى تلقيه من أربابها بالمشرق) [٣] .

وممن درس كتاب سيبويه بفاس: علي بن محمد بن خروف الحضرمي النحوي (ت٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)، أخذ عنه كتاب سيبويه في فاس جُلّة من العلماء وأقرؤوه بعدَه من مؤلفاته شرح على كتاب سيبويه سماه : "تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب" وله شرح على كتابه الجمل، كما أن له رداً في العربية على أبي يزيد وابن مضي[٤] .

(١) ابن أبي الربيع هو: عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي الربيع الإمام الحسين القرشي، الأموي، العثماني، الأندلسي، الإشبيلي. إمام أهل النحو في زمانه، توفي سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م)، انظر: السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (المكتبة العصرية، بيروت، د.ت) ج٢، ص ٢٣٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٦، ص٣٠٥.

(٢) الشلوبين هو: محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الأنصاري توفي في حدود سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) من أهل مالقة أبو عبد الله الشلوبين، ألف كتابا في الآيات التي استشهد بها سيبويه وأوضح وجه استشهادها وما ينكر عليه في ذلك ووجه تخلصه، وهو من تلامذة ابن عصفور مدة إقامته بمالقة. انظر ترجمته: الفيروز أبادي: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، (جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ) ، ج١، ص٧٠..

(٣) المقري، أزهار الرياض، ج١، ص٢٤٤.

(٤) ابن القاضي، جذوة المقتبس، ج٢، ص٢٨٤.

ومن كتب الأندلسيين التي كانت تدرس بفاس: كتاب "الاكتفا بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفا" للإمام الكلاعي[١]. وكان يدرس بكرسي المحرب[٢] بجامع القرويين[٣].

وعلى الرغم من الحركة العلمية الكبيرة بين فاس والأندلس، إلا أني لم أجد مادة لوجود تداول للكتب أو البعثات الدراسية بين الأندلسيين وفاس، وقد يعزى هذا لأمور:

أولاً: وجود المكتبات العامة بالمدن الرئيسة مما يغني عن استعارة كتاب من آخر.

ثانياً: الحالة المادية المرتفعة لكل من الأندلسيين والفاسيين نسبياً، بحيث يقتني كل منهم نسخ الكتب ولا يحتاج لاقتراضها.

ثالثاً: اتساع المساحة العلمية في كل من البلدين مما أغنى عن البعثات الدراسية، أو الرحلة العلمية نسبياً.

---

(١) هو سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي الحميري، أبو الربيع: محدث الأندلس وبليغها في عصره، من أهل بلنسية، ولي قضاءها، وحمدت سيرته، وصنف كتباً منها : الاكتفا بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفا"، توفي شهيداً، والراية في يده، في وقعة انيشة قرب بلنسية سنة (٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م)، النباهي: تاريخ قضاة الأندلس–المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا– تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ص١١٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ، ص٣٢؛ ابن الآبار، التكملة، ص٧٠٨ .

(٢) وأنشئ هذا الكرسي سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م) حسب ما رآه التازي، جامع القرويين، ج٢، ص٣٧٢.

(٣) عبد الهادي التازي، جامع القرويين، ج٢، ص٣٧٢.

رابعاً: كان كل طالب يتحمل بنفقة رحلته لطلب العلم، ويختلف استمراره في الرحلة من عدمه تبعاً لموارده المادية، ويوضح ذلك ما ذكره القاضي عياض من أنه ذهب إلى مرسية للسماع على الشيخ أبو علي الصفدي، فوجد الشيخ قد رحل هرباً من منصب القضاء، ووجد الرحيل بسبب نفاذ نفقاتهم، وتبقى من لديه ما يكفيه من نفقة تسمح له بالإنفاق حتى يظهر الشيخ الصدفي[١] .

(١)ابن الآبار: معجم أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، (دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م): ص٣٠٦؛

A . Mujtar Al – Abbadi:El Reino de Granada en la Epoca de Muhammad V – Madrid, 1973,p.117.

الخاتمة

اتضح بعد دراسة موضوع العلاقات الثقافية بين المراكز العلمية الأندلسية ومدينة فاس منذ بداية القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى حتى سقوط غرناطة مع نهاية القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى أن العلاقات بين العدوتين كانت فى تلك الفترة قد شهدت تطورًا كبيرًا ، وكان ذلك كرد فعل طبيعى لازدهار الحياة العلمية فى العدوتين فى تلك الفترة ، فالمراكز الأندلسية شهدت فى تلك الفترة ظهور عدد كبير من العلماء البارزين الذين أناروا بكتاباتهم ومؤلفاتهم وأدلوا بدلوهم فى شتى العلوم ، فكانوا علامات بارزة فى وفارقة فى الحياة العلمية فى الأندلس فى تلك الفترة .

كان ازدهار الحياة العلمية فى بلاد الأندلس فترة البحث انعكاسًا طبيعيًا لما شهدته المراكز الأندلسية من اهتمام من الحكام المتعاقبين على بلاد الأندلس عبر تاريخها بالحياة العلمية فى تلك المدن ، من اهتمام بالعلماء والإنفاق عليهم إجزال العطايا والهبات لهم ، وتقريبهم منهم ، وكذلك من اهتمامهم بالمراكز والمؤسسات التعليمية والعمل على إنشاء الكثير منها فى العديد من المدن . وكذلك انتشار المكتبات ومجالس العلم العامة والخاصة ، وازدهار صناعة الورق والوراقون ، والتى كانت السبب فى وفرة الكتب والمؤلفات العلمية لطلاب العلم، الأمر الذى عمل على سيولة الحياة العلمية فى تلك المراكز .

وما يقال عن المراكز الأندلسية يقال على المراكز المغربية وبخاصة مدينة فاس ، والتى شهدت منذ تأسيسها جذب الكثير من العلماء وطلاب العلم فظهرت كأحد اهم المراكز التعليمية المغربية ، يشهد على ذلك كثيرة من أقام بها من العلماء عبر تاريخها ، مغاربة وأندلسيين .

ولازدهار الحياة العلمية بين العدوتين ولقرب فاس من بلاد الأندلس ، شهدت العلاقات الثقافية بينهما ازدهارًا ملموسًا عكسه كثرة العلماء الأندلسيين فى فاس ، وإقامتهم للمراكز التعليمية بها ، وتتلمذ عدد كبير من طلاب العلم المغاربة على أيديهم، كما يشهد على ذلك كم ما تم تبادله من مؤلفات علمية أندلسية ومغربية بين الجانبين ، وهو ما لم يتم تبادله بين المراكز الأندلسية ومراكز علمية أخرى ، كما تم تدريس المؤلفات التى تم تبادلها بين العدوتين فى المراكز التعليمية فى الجانبين ، بل واعتمدت هذه المؤلفات كمادة تعليمية كبيرة فى المؤسسات التعليمية.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. ابن الآبار:(محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت:٦٥٨هـ):

- **المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي** ، (دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)
- **تحفة القادم** ، أعاد بناؤه و علق عليه: إحسان عباس،(دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)
- **الحلة السيراء**، تحقيق: عبد الله أنيس الطبّاع ،(دار النشر جامعيين، بيروت، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م).
- **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: عبدالسلام الهراس،(دارالفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٣. الإدريسي : الشريف أبو عبدالله محمد السبتي(ت:٥٦٤هـ):

- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**،(عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ،١٤٠٩هـ).

٤. الأصفهاني،جمال الدين محمد بن محمد (ت:٥٩٨هـ):

- **خريدة القصر وجريدة العصر**، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، (الدار التونسية للنشر و التوزيع،تونس،الطبعة الثانية، ١٩٨٦م)

٥. الجزنائي،أبو الحسن علي:

- **زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، نشره:ألفرد بل ، (مطبعة جوردان، الجزائر، ١٩٢٢م).

٦. حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالهه القسطنطيني (ت:١٠٦٧هـ):

-كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، (دار الفكر،١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٧. الحميدي، أبو عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله (ت:٤٨٨هـ):

- **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، (مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة،١٣٧١هـ)

٨. الحميري، محمد بن عبدالمنعم السبتي (ت:٩٠٠هـ):

- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، (مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤هـ)

٩. ابن الخطيب،لسان الدين أبوعبدالله بن أحمد السلماني (ت:٧٧٦هـ):
- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: يوسف علي الطويل، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
١٠. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت:٨٠٨هـ):
- **العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر** ، (مؤسسة جمال للطباعة و النشر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) .
١١. ابن خلكان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبو بكر(ت:٦٨١هـ):
- **وفيات الأعيان و أنباء أنباء الزمان** ،تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد،(النهضة المصرية،القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٧هـ/١٩٨٠م).
١٢. الذهبي:(محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ):
- **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ).
١٣. ابن أبي زرع، علي الفاسي (ت:٧٤١هـ) :
- **الأنيس المُطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و مدينة فاس** ،(دار المنصور للطباعة، الرباط،١٩٧٢م)
١٤. الزهري: (أبو عبد الله محمد)
- **كتاب الجغرافية**، تحقيق : محمد حاج الصادق، مجلة الدراسات الشرقية، (دمشق، المعهد الفرنسي، د ت).
١٥. ابن الزيات ، أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي(ت:٦١٧هـ):
- **التشوف لمعرفة رجال التصوف**، تحقيق: أحمد التوفيق، (مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م)
١٦. السلاوي، أحمد بن خالد الناصري (ت:١٣١٥هـ):
- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق:جعفر الناصري و محمد الناصري،(الدار البيضاء،١٩٥٤م) .
١٧. ابن سيده،أبو الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي:
- **المخصص**، (دار إحياء التراث،بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)

١٨. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد(ت:٩١١هـ):
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، (المكتبة العصرية، بيروت، د.ت)
١٩. الشوكاني: محمد بن علي:
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د.ت)
٢٠. الصفدي،صلاح الدين خليل أيبك(ت:٧٦٤هـ) :
- **الوافي بالوفيات**، تحقيق: مجموعه من الباحثين، (دارالنشر فرانز شتايز، فيسبادن،الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ) .
٢١. طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى:
- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى).
٢٢. ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد (ت:٧٩٩هـ):
- **الديباج المُذّهَب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق:علي عمر، (مكتبة الثقافة الدينية، مصر، الطبعة الأولى،١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
٢٣. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب(ت:٨١٧هـ) :
- **القاموس المحيط**،(مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الرابعة،١٤١٥هـ)
٢٤. القاضي عياض، بن موسى بن عياض السبتي (ت٥٤٤هـ):
- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، خرجه وعلق عليه وقدم له: محمد بن داود الطنجي، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط.
٢٥. ابن قنفذ: أبو العباس أحمد بن الخطيب القسنطيني (ت٨٠٩هـ) :
- **أنس الفقير وعز الحقير**، نشره: محمد الفاسي، أودلف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبوعة أكوان، الرباط، ١٩٦٥م.
- **الوفيات**، تحقيق: عادل نويهض، (دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)
٢٦. الكتاني، محمد بن جعفر(ت:١٣٤٥هـ):
- **سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس في ذكر من أُقبر من العلماء و الصلحاء بفاس**،(دار الثقافة،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٢٧. الكلبي، ابن دحيه (ت:٦٣٣هـ):
- **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق: إبراهيم الإبياري وآخرون ، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٧٨م) .
٢٨. محيي الدين أبو محمد، عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي ت: ٦٤٧هـ :
- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، (مطبعة الاستقامه ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م).
٢٩. ابن مخلوف، محمد بن محمد :
- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٤٩هـ).
٣٠. المراكشى: أبو عبدالله محمد بن ابن عبدالملك الأنصاري الأوسي المراكشي(ت:٧٠٣هـ):
- **الذيل والتكملة لكتابي التكملة و الصلة** ، تحقيق: محمد بن شريفه، (دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م).
٣١. المقدسي، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت:٣٨٠هـ):
- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ،(مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٧م) .
٣٢. المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت:١٠٤١هـ):
- **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب مع ذكر وزيره لسان الدين ابن الخطيب**، تحقيق:إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م) .
- **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق:مصطفى السقا و إبراهيم الإبياري و عبدالحفيظ شلبي، (مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م).
٣٣. النباهي، أبو الحسن علي بن عبدالله بن الحسن المالقي الأندلسي (ت:٧٩٢هـ):
- **تاريخ قضاة الأندلس**–المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا– تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

٣٤. الحسن السائح:
- **الحضارة الإسلامية في المغرب**، (دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)

٣٥. حسن علي حسن:
- **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**– عصر المرابطين و الموحدين– (مكتبة الخاجي، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م).
٣٦. سعد البشري:
- **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ٤٢٢-٤٨٨هـ / ١٠٣٠-١٠٩٥م**، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)
٣٧. صديق بن حسن القنوجي:
- **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٩٧٨م).
٣٦. عبد الإله بنمليح:
- **مدينة فاس في ذاكرة ابن خلدون**، (مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد٤٥، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)
٣٧. عبد العزيز بنعبد الله:
- **الأندلس والمغرب وحدة أم تكامل؟**، التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، (الرباط، العدد الثاني، ربيع ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).
٣٨. عبد الله العمراني:
- **فاس وجامعتها**، مجلة البحث العلمي، (الرباط، العدد ١١، ١٢، ١٩٦٧م).
٣٩. عبد الله كنون:
٣٨. **النبوغ المغربي في الأدب العربي**،(الطبعة الثانية ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).
٣٩. عبد الهادي التازي:
- **جامع القرويين**، (دار الكتاب اللبناني،بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م).
٤٠. عثمان عثمان إسماعيل:
- **تاريخ شالة الإسلامية**، (دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)
٤٠. عز الدين عمر موسى:
- **النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس عشر الهجري**،(دار الغرب الإسلامي، بيروت، ب.ط،٢٠٠٣م)

٤١. غوستاف لبون: **حضارة العرب**، ترجمة : عادل زعيتر، (مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، ب.ت)

٤٢. ليفي بروفنسال:

- **أدب الأندلس وتاريخها**، ترجمة:عبرالهادي شعيره، (المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١م).

٤١. محمد الحريري:

- **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ٦١٠هـ – ٨٦٩ هـ /١٢١٣م – ١٤٦٥م**، (دار القلم، الكويت،الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) .

٤٣. محمد الصادر عبد اللطيف:

- **الخط الأندلسي** .... تاريخ وفكر ومسيرة، (مجلة التاريخ العربي، العدد١٥، الرباط، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)

٤٤. محمد المنوني:

- **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**، (دار المغرب،الرباط، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)

٤٥. ناصر بن ماجد الهاجري:

- **أوضاع المسلمين في بلنسية في عهد الملك الاراغوني خايمي الأول (٦٠٤هـ/ ٦٧٤– / ١٢٠٧–١٣٧٦م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)،

٤٢. نعيمة الحضري:

- **المدارس المرينية بفاس** (دراسة تاريخية وحضارية)، (مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المغرب، العدد٣٨، خريف ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) .

٤٣. يوسف بن علي بن إبراهيم العريني:

- **الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين**، (مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

A . Mujtār Al – Abbādi: –

- El Reino de Granada en la Época de Muhammad V – Madrid, – 1973

Arié, R.: –

- El Reino Nasri de Granada (1232-1492)-Madrid, 1992 –

Maya Shatzmiller : –

- The Legacy of the Andalusian Berbers in the fourteenth – Century its role in the formation of Maghrebi historical identity and historiography- Relaciones de la Peninsula Iberica con El Magreb Siglos XIII- XVI- Madrid, 1988.

Abstract

The Islamic history of Andalusia and clear developments in the scientific aspects which had an impact on its neighboring Morocco states and especially the city of Fez appeared between them represented a scientific relations in the journey to seek knowledge and relations between the scientific centers and the exchange of books and stability of the scientists of Andalusia where, given the political conditions experienced by Al Andalous.

The goal of our research is to study the relations between the scientific centers and the exchange of books in Andalusia and Fez from the sixth century until the fall of Granada by studying encourage Maghreb countries to scientists and the building of mosques and schools that can consider them of the most important scientific centers that existed in the period of research, it has been filled Andalusia and Fez these scientific centers, and opened its doors to students, and the rhetoric and teaching by gathering of scientists, there was cooperation between Andalusia and Fez scientists in broadcast forensic science throughout the study period. Which has had the greatest impact on the prosperity of the scientific renaissance.